ساخناً كمياه الولادة

إبراهيم الفلاحي

أركضُ في الصحراء الجائعة
في أمعاء الريح
وحواصل الحنين
أركضُ في متاهةٍ
وتركض المتاهةً
جسدي
- متنزه الرغبات الضّالة
- هوةُ ضعفي
- مستوعبي
- منطقتي الرخوة المنعزلة
- صفر انطلاقي
- عبوري إلى أين
- نُزُلي
- مقتنياتي السخيفة
- حقائب حزني
- شمّاعتي
- مجالي الهلامي
- أشياء أخرى
أدخل فيه مرتين

حين أصحو
وحين أسافر
مثقلاً بالعناوين
ممتلئاً بالفراغات
منعرجاً بالتساؤل
لا يحدده شيء
لا أدعيه

منزلة العري
ظل الفراغ العصامي
, استرخاء اللحظة
, الارتطام الإضافي
, الانتشاء الخفيف
, المدى المتعرق
, سديم التشابه
, تجلي الغريب
, خفوت الأشياء
, ظهور المخاوف ثانية أركضُ فيه
أحاول إمساك ظلّ الهروب
يا قابلات التداعي المخيف
صوتي خيوطاً وذاكرتي عنكبوت

أفتح نافذةً لدخول الغواية
أيقظُ هِرّتها
أغسلُ وجه الشوارع بالظلمات
أغسلُ وجهي من الزيف
والكسل الممتطي جبهتي
كشريط التثاؤب
أخرجُ منه ساخناً كمياه الولادة
وأنامُ منتقعاً بخشوعٍ عليه
....

الشبكات الاجتماعية الرقمية الثقافية

تضاعف عدد الكتاب الذين ينشرون نصوصا أو يطبعون كتبا، كما تزايد عدد الكاتبات. وإذا كانت آليات ولادة كاتب جديد في الستينيات وحتى الثمانينيات تسمح لكل متتبع بالتعرف على هذا الكاتب وهو يتدرج في عملية الكتابة والنشر، فإن تغير الآليات صار لا يسمح لأي متتبع، مهما كانت جديته في المتابعة، في التعرف على الكتاب والكاتبات الجدد. وإذا كان جزء من هذا الواقع الجديد يعود، إلى تردي وانحدار مستوى الإعلام الثقافي، نجد جزءا آخر منه يعود إلى ظهور الوسائط المتفاعلة، مع بداية الألفية الثالثة، واعتماد العديد من الكتاب الشباب على الشبكات الاجتماعية الرقمية (RSN) لنشر إبداعاتهم، أو إنشاء مدونات أو منتديات أو مواقع شخصية لتقديم كتاباتهم سواء في مجالات الإبداع أو النقد أو الثقافة.

سعيد يقطين *

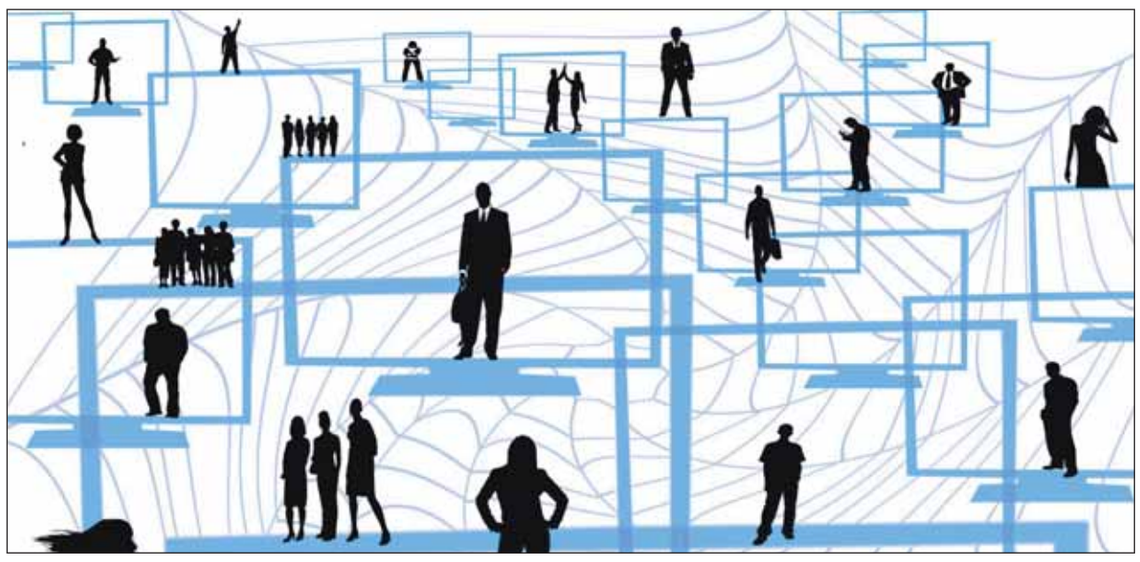

لا يمكن لأي كان أن يعارض أي تحول، أو ينتقد ظهور آليات جديدة ومغايرة لفرز الكتاب والمبدعين والمثقفين. لكن أي تحول، سواء كان انحدارا أو انفلاتا ثقافيا، لا يصب في مسار تطوير الإبداع والارتقاء به، لا يمكن إلا أن يجعلنا أمام واقع ثقافي يغيب فيه التواصل بين الكتاب أنفسهم. وإذا كان التواصل بين الكتاب مستحيلا، فكيف سيكون مع عموم متلقي هذا الإنتاج؟ يمكن لأي كان أن يزعم أو يدعي أنه كاتب جديد، ورقيا كان أو إلكترونيا أو رقميا، ولكن أن يكون الكاتب بدون قراء، أو متابعين فليس كاتبا. قد يكون لهذا «الكاتب» من يعلق على نصه بالإعجاب، ومهما كان عدد المعجبين، فليس ذلك دليلا على أنه صار كاتبا يلزم قبيلة الأدباء والكتاب أن تحتفي به وتقيم له الولائم.

لا يمكن للكتابة الأدبية، أو لأي عمل ثقافي كيفما كان نوعه، ورقيا أو رقميا، أن يتطور أو يفرض وجوده، ويكون له أثر أو تأثير في واقعنا الثقافي، بدون تواصل بين مختلف الأطراف التي تسهم في تكوينه وتطويره.

إن التواصل هو جوهر العملية الإبداعية والثقافية. وتبعا لذلك أرى أن استثمار كل الوسائط التي تستعمل في التواصل، من الشفاهي إلى الطباعي إلى الرقامي، ضروري لتطوير العمل الثقافة. ولا يمكن لأي وسيط، كيفما كانت جدته أو إمكاناته، أن يكون بديلا عن غيره.

إن المشكل الحقيقي، حين يتعلق الأمر بالإبداع والكتابة والثقافة، ليس في واقع الحال، وسائطيا، فقط، ولكنه تواصلي وإبداعي أيضا. ولكي يحصل التواصل الإبداعي لا بد من الانطلاق من التقاليد الأساسية في الإبداع والكتابة، أولا. ولا بد من انتهاج الصرامة والجدية في التعامل النقدي الموضوعي مع الإبداع، ثانيا. ولعل تطوير الإعلام الثقافي، بنوعيه الورقي والإلكتروني، من خلال وعيه بدوره في بلورة عمل ثقافي جاد هو الكفيل باستعادة دور الكتابة والأدب في الحياة والمجتمع.

يمكن لاستغلال الشبكات الاجتماعية الرقمية واستثمارها في الإبداع والثقافة أن يكون مفيدا في الترويج والترويج المضاد، وفي تشكيل الحساسيات والحساسيات المضادة. ولكن في غياب الجدية والنقد الذاتي والموضوعي لا يمكننا إنتاج الأدب الرفيع الذي هو عنوان الإبداع الحقيقي. كما أنه في غياب التفاعل بين النشر الورقي والنشر الإلكتروني، عن طريق كون كل منهما في خدمة الآخر، لا يمكن للتعريف بـ، أو للتعرف على التجارب المتميزة أن يتحقق، ولا يمكن للتواصل أن يتم بين مختلف الفاعلين في المجال الأدبي والثقافي على الوجه الأكمل والملائم.

إن هناك تكاملا بين الورقي والإلكتروني. ومن الضروري أن يتعزز إعلامنا الثقافي وتتضافر الجهود بين مختلف الفاعلين والناشطين في المجال الثقافي بصفة عامة، ويتعاون الإعلام الورقي مع الإلكتروني لتقريب الإبداع من الجمهور، ليحصل التواصل المنشود، وتكون المساهمة جماعية في تطوير الإبداع والنقد والعمل الثقافي في أبعاده المختلفة. ولعل المدخل الطبيعي والضروري لذلك هو إيماننا أولا بضرورة الانخراط الجماعي في العمل بدون عقدة التفوق أو ادعاء الجدة. وثانيا تجاوز الوعي المبني على حساسيات الإقصاء والإلغاء للآخر. وثالثا، وهذا مهم جدا ممارسة الحوار الجاد بدون عقدة أبوية أو وهم امتلاك البدائل، أو توهم صراع الأجيال.

ولعل المطلوب إلى جانب ذلك هو إدراك الوسائط الجماهيرية بمختلف أنواعها: الجرائد المكتوبة، سواء كانت مستقلة أو حزبية، وكذلك برامج الإذاعة والتلفزيون أن للأدب والثقافة دورا كبيرا في التواصل. وعليه فالمطلوب استعادة صفحات الثقافة والملاحق الثقافية مكانتها على مستوى الحضور، والعمل على تطويرها، والتعامل معها تعاملها مع الرياضة، لا كشيء زائد ناقص؟ ويمكن قول الشيء نفسه عن البرامج الثقافية والأدبية في الإذاعة والتلفزيون من خلال إقدام الكتاب والمثقفين على الإعداد المحكم لتصورات لبرامج تخدم الإبداع والثقافة. كما يمكن للشبكات الاجتماعية الرقمية أن تقوم بدورها في تعزيز هذا الحضور وتأكيده عن طريق توسيع دائرة الفاعلين والناشطين والمستعملين وعموم الجمهور. بذلك يمكننا المساهمة في تطوير العمل الثقافي لأنه هو رهان تطور المجتمع العربي.

لقد صارت الشبكات الاجتماعية الرقمية واقعا عربيا. لكنها لم تتطور منذ أن بدأنا باستعمالها وسائط للترويج والدعاية، وليس للنقاش الهادئ والرصين، أو للإنتاج الثقافي. ولعل فتح نقاش جاد حول دورها الثقافي، للوقوف على مدى مساهمتها في إنعاش وتجديد تعاملنا مع الثقافة في مختلف صورها وأشكالها هو الكفيل بتطوير التواصل الثقافي العربي. ويمكن أن ينخرط في هذا النقاش المشتغلون بالتربية والاجتماع والنفس والأدب والتنشيط الثقافي. وبدون خطوات عملية في هذا الاتجاه، سيمر الزمن، وسنجد أنفسنا نكرر الكلام ذاته والمطالب عينها حول آليات تطوير إعلامنا الثقافي، وحول تجويد إبداعنا ونقدنا الأدبي والثقافي ليتماشى مع الإمكانات والطاقات التي يزخر بها مجتمعنا وتاريخنا. (عن القدس العربي).

* كاتب مغربي

في حضنك أجد زمناً آخر

طلال قاسم

في حضنك أجد زمن آخر.
ابتسامتك تذهب بي إلى هناك، إلى حيث كل ما هو أنت، كل ما يشبهك.
رائحتك لا تبدو غريبة، ومثيرة للشك، أنا أعرف الرجال من خلال رائحة أجسادهم، صدقني الرائحة هي كل شيء.
تهمس به وقد توسدت حضنه كقطة: " أنا لست مجنونة ؟!".
يجيبها وهو يراقب ملامحها المتوسلة، والتي تبدو وكأنها تريد تلقيمه الإجابة المفترضة :" مممماالذي يجعلك تقولين ذلك ؟".

"لا ادري، لماذا بالضبط، لكني لا أريد الانتهاء منك، حتى لو اضطررت لخنقك، أشعر برغبة جارفة بخنقك فعلاً، بهذه الطريقة سيتوقف الزمن الذي تبعثه أنفاسك، وتتوقف رائحتك عن إرباكي، رائحتك تربكني، لأني أنساها بسرعة غريبة، كما أن اهتزاز صدرك وأنت تتنفس الآن يثير بي قلقاً خانقاً".
"قلقاً خانقا!".
"نعم، هذه الحركة الدافئة على صدرك، تذكرني بأنك حي، حي بما يكفي لترحل بعيداً، أنا لست مجنونة صحيح ؟!".
"مهم أن تعرفي، إننا عقلاء بقدر ما نستطيعه لا بقدر ما نملكه، نحن نحاول أن ننتقي لأنفسنا قدراً ممكناً مما نسميه بالتعقل، لذلك كلنا مجانين بطريقة ما".
وضعت أصابعها على صدره قائلة :" مع ذلك ما تزال شهوتي كبيرة لخنقك".

زيـــــــــارة

سهير السمان

يوم كعادة بقية الأيام التي تتكرر، لقد تغير اتجاهي على الأقل منذ شهور قليلة، كنت قبلها أتجه يوميا نحو الشمال بعد خروجي من وظيفتي، أصبحت الآن أتجه جنوبا، قد تأتي أيام أخرى أتجه فيها شرقا وأخرى أتجه غربا.

حقا كم اتجاه لهذا العالم؟ هل هي أربعة فقط ؟

أليس لي أن أكتشف اتجاها خامسا لأحمل براءة اكتشاف جهة ما، كما هم من اكتشفوا قارات العالم الجديد...أي جديد للعالم ؟ قارات موجودة منذ الأزل وعندما استطاع الإنسان أن يصل إليها قال أنها أرض جديدة.

الكون قديم جدا، ونحن الأقدم منه، ولكنا لم نكتشف أنفسنا بعد. فكيف لنا أن نكتشفها ونحن نسير بنفس الجهة المحددة لنا يوميا إلى أن يدركنا الموت؟

وقفت في الشارع انتظر "باصاً" لأذهب إلى البيت ونفسي تنازعني بمللها حين تتوق لجهة أخرى، أثناء انتظاري كان اتصال صديقتي تطلب مني أن أرافقها إلى "بني حُشيش" وهي من ضواحي صنعاء، أدركت حينها أن نفسي تواصلت لتلك الجهة فعزمت أن أذهب معها، كانت دعوة لحضور مناسبة "ولادة" إحدى قريبات جاراتها التي هي من أصل بني حشيش، ويجب أن تلبي ذلك الواجب الاجتماعي الذي كثيرا ما يقام في العائلات الشمالية، صنعاء وما حولها حتى وإن أنجبت الواحدة في كل سنة مرة، الساعة الثالثة عصرا كنا فوق سيارة ازدحمن فيها خمس نسوة، المسافة من صنعاء إلى بني حشيش تستغرق الساعة تقريبا، لقد مر وقت طويل لم أحضرفيه مناسبات مثل هذه وخصوصا في قرية، كان الهواء جديدا والمنطقة تشهد تاريخا قديما مازال حاضرا بين تلك الجبال والتلال المحيطة بالقرية، مزارع العنب الممتدة على طول الطريق ونحن متجهين إلى القرية، ولكنها يابسة بسبب الشتاء، يجمع الأهالي أغصان العنب اليابسة لإشعال تناوير الخبز الذي لا يخلو منها بيت، رائحة الإنسان والأرض ممتزجة هنا، دخلنا منزلا كبيرا مبنيا على تلة صخر، ومتكئا على جبل ، استقبلنا عدد من النسوة، مرحبات بسعادة حضورنا، صعدنا الدور الأول كان صالة واسعة جدا، مفروشة بسجاد باهت اللون، لا قطعة أثاث واحدة فيها على الرغم من سعتها، تحتوي على عدد من الغرف المفروشة بمجالس محلية لاستقبال الزوار على نظام الدواوين لجلسات المقايل، لم يكن هناك غرف نوم، غرفة نوم واحدة رأيناها في ذلك الدور ولكنها صغيرة جدا ولا تحتوي إلا على فرش عريض، ودولاب ، يبدو أنهم لا يهتمون بالعلاقة الحميمة بين الزوجين بقدر اهتماهم بمجالس الضيوف المتسعة، المزودة بما يحتاجه المقيلون .

أدخلونا مطبخهم الواسع، التقليدي، نكهة طعام لذيذة هنا، بيد أنها نفس أنواع الطعام التي نصنعها في المدينة، ولكنه ممتزج بروح الطين والنار المشتعلة من الحطب، وضياء الشمس المتدفقة بسخاء داخل المنزل، وبساطة الأدوات المقدمة فيها، رائحة النعناع المعتقة في اللبن، والخبز الذي لم تعبث به أيدي الخبازين في مخابز المدينة. تأكل منه ولا تشبع من حنين لذته، رائحة القشر" البن" التي أسرتني أطاحت بكل إرهاق هذا اليوم، نساء المنزل كثيرات، الأم وزوجات أولادها، وحفيداتها، كلهن يعشن في هذا المنزل، هذا هو التقليد الذي مازال متبعا عند أكثر العائلات الشمالية، لاوجود لاستقلالية حين يتزوج الولد، يأتي بزوجته لمنزل العائلة، النساء في المنزل يُستهلكن فقط في المطبخ والحمل والولادة، إحدى نساء الأولاد التي أنجبت الآن لديها أربعة من قبل وفي كل مرة تلد، يجب أن تعتلي السرير الخاص بالوالدات يوميا

لمدة أربعين يوما، وفي المجلس الخاص الذي يجتمع فيه النساء أيضا يوميا، فهو النشاط الوحيد الذي تقوم به النسوة في العصر، وزوجة الولد الثاني أيضا حامل ما أن تنتهي الأولى من هذه الطقوس حتى تبدأ الثانية بمتابعة نفس الطقس، وهكذا يبقى المنزل الكبير في حالة عمل متواصل لاستقبال النساء، وكذلك اجتماعات الرجال في المجالس الخاصة بهم في الدور الثاني، في ديوان هو أطول كثيرا من ديوان النساء. جلست وسط النساء الكل يمضغن القات ويثرثرن، وبين أيديهن "السبحات" هي للشكل الذي يبعث روح الوقار بينهن، وحتى لا يغفلن عن ذكر الله ، مع كونهن يثرثرن ويتحدثن عن الآخرين. مضغت القات معهن وأنا أحس بنشوة جديدة، أتخيل أن أكون كامرأة مثل أي واحدة منهن، دورها الرئيسي الإنجاب فقط. لا أحمل هماً في رأسي، أو متاعب أخرى في الحياة، أسلوب واحد متبع، لا يكلف عناء متواصلا، وهموماً متراكمة، وقلق لتوفير أساسيات الحياة، هنا كل شيء ضروري متوفر لهن، المنزل، الأكل والشرب، والزوج والأولاد. المرأة النفساء تعتلي السرير المفروش باللحاف المزركش، والجدار خلفها مسجف على الطريقة التقليدية، عدد من المصاحف المعلقة داخل قطعة من قماش خاصة، خيطت على شكل الحقيبة، والعديد من الصور "المبروزة" لرب العائلة وأولاده، ووسط الجدار فوق رأس النفساء مباشرة صورة للرئيس السابق وهو ما يزال شاباً.

هذه هي الحياة الأسرية التي تذوب فيها الذات وتتلاشى في شخص واحد، أنا المالك لأرضي، والمسؤول عن الولادات المتعددة، ولكن بشكل واحد، "البدائية". لا قلق على الأرض والنوع.

وحين خرجنا قبل الغروب لم يكن أثر للرجال في المنزل كله، أو حتى الصبيان كذلك في الشارع، لا أطفال يلعبون. اعتقد أن مجالس القات قد ابتلعتهم أيضاً،

، وفي طريق العودة، هبط الظلام، واختفت الجهات، ولكني أعلم أننا كلنا نسير لجهة واحدة، مهما تعددت تلك الجهات. ومهما اكتشفنا من عالم جديد، فليس هناك جديد ، ولكننا نحن من نعتقد أن ما نراه لأول مرة جديدا.